مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

صناعة الوحي لجيل الصحابة، الأسس والمعالم

the creation of the generation of Sahaba through revelation, foundations and features

د. فتيحة محمد بوشعالة
fatiha.bouchaala@gmail.com
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة

تاريخ الإرسال: 2021/07/13 تاريخ القبول: 2021/10/24

I. الملخـــص:

يتناول هذا البحث فكرة بناء الوحي لجيل الصحابة، والقواعد التي بنيت عليها تلك الصناعة الربانية ومعالمها فيهم، وعنونته بـــ (صناعة الوحي لجيل الصحابة، الأسس والمعالم)، ليجيب على إشكالية مفادها: كيف صنع الوحي جيل الصحابة؟ وكيف استطاع الصحابة في تفاعلهم مع الوحي، إحداث ذلك التغيير الجذري في حياتهم، بحيث انتقلوا من مجتمع متفكك بلا قيم، إلى مجتمع حضاري ورسالي، نشر دعوته بين العالمين، حتى نتمكن من الاستفادة من تلك الأسس التي غرسها فيهم القرآن والرسول ﷺ لإحداث ذلك التغيير في واقعنا المعاصر، وقد اعتمدت في بحثي على المنهج الاستقرائي، فوقفت على جملة من تلك الأسس منها ما هو إيماني، مثل قوة اليقين في الله، التعلق بالآخرة والزهادة في الدنيا، ومنها ما هو سلوكي، مثل، العمل بعد العلم، الاجتهاد ونبذ الجمود.

الكلمات المفتاحية: صناعة، الوحي، جيل الصحابة.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

I. ABSTRACT:

this study talks about the idea of how the revelation created the generation of Sahaba which I entitled “the creation of the generation of Sahaba through revelation , foundations and features” to answer the question of: how did revelation create the generation of Sahaba? And how they were able to apply a radical change in their lives .so that we can take experience from them to make a change in our life . I deduced a set of those bases, like the strong belief in Allah, and some of it is behavioral, like , diligence and rejecting stagnancy

Keywords: creation, revelation, generation of Sahaba

1. المقدمـــة:

تأملت واقع الصحابة رضوان الله عليهم وخاصة في مجتمع النبوة، وجدتهم حين اعتنقوا الإسلام والتزموا به أحدث تغييرا جذريا في حياتهم، إن على مستوى الأفراد أو على مستوى المجتمع، فانقلبوا من أخلاق الجاهلية إلى أخلاق فاضلة رفيعة تجسدت في حياتهم الخاصة والعامة، انتقلوا من وثنية الجاهلية وشركها إلى عقيدة التوحيد الصافية وتجلياتها في واقعهم، وخرجوا من فوضى وظلم أحكام الجاهلية إلى شريعة الإسلام السمحاء.

كل ذلك التغير كان له أثر ملموس في حياتهم، تجسد الإسلام فيهم قولا وعملا، عقيدة وشريعة وأخلاقا، فقدموا للعالم نموذجا جديدا لمجتمع كاد يكون مثاليا علما وأخلاقا وقوة ومكانة بين الأمم، مع بقائهم على فطرتهم البشرية.

وتأملت واقعنا المعاصر فوجدت أن ما غيّرهم وصنع منهم القدوة موجود بين أيدينا، القرآن وسنة المصطفى ﷺ، ومع ذلك لم يحدث فينا ذلك التغيير الذي أحدثه فيهم.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

من هنا جاءت فكرة هذا المقال الموسوم ب: (صناعة الوحي لجيل الصحابة، الأسس والمعالم).

الإشكالية: جاء هذا البحث ليجيب على إشكالية رئيسة هي، كيف صنع الوحي جيل الصحابة؟

وانبثقت عن هذه الإشكالية جملة من السؤالات الفرعية: كيف استطاع الصحابة الارتقاء من البداوة والجاهلية والقبلية والتفرق والضعف إلى مستوى الوحي والتفاعل معه؟ وكيف أنتج منهم جيل التغيير الجذري؟ وكيف كان أثره فيهم عميقا وكبيرا فصنع منهم أمة الريادة؟. ما هي الأسس التي بُنيت عليها هذه الصناعة الربانية؟ وما هي معالمها في واقعهم؟

أهمية البحث: تكمن أهمية هذا البحث في بيان واستنباط الأسس التي صنع على إثرها الوحي جيل الصحابة، والوقوف على معالم تلك الأسس عندهم، بغرض الاقتداء بهم في صناعة جيل يتصف بصفاتهم ويأخذ الكتاب بقوة كما أخذوا هم رضوان الله عليهم.

منهج البحث: اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي، وذلك بتتبع الأحاديث والنصوص التي ألتمس فيها معالم الفكرة، ثم المنهج التحليلي وذلك بتحليل النصوص لاستنباط المعالم والأسس التي تكشف عن كيفية إنشاء الوحي لجيل الصحابة.

هدف البحث: يهدف هذا البحث إلى معرفة الأسس التي تكون عليها جيل الصحابة في تفاعله مع الوحي نصا ومجسدا في شخص النبي ﷺ، والكيفية التي صنعت منهم جيل التغيير المنشود وجعلت منهم خير أمة أخرجت للناس. لنستفيد من تلك التجربة الربانية في تغيير حال الأمة في هذا العصر ما دام عندها مصدر تلك الصناعة الربانية، وهو الوحي.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

خطة البحث: وقد قسمت بحثي وفق الخطة التالية:

مقدمة

المبحث الأول: الأسس الروحية الإيمانية ومعالمها

المطلب الأول: وجود رسول الله ﷺ بينهم

المطلب الثاني: اليقين في الله ﷻ

المطلب الثالث: حقيقة التوكل على الله ﷻ

المطلب الرابع: التعلق بالآخرة

المطلب الخامس: الزهادة في الدنيا

المبحث الثاني: الأسس السلوكية العملية ومعالمها

المطلب الأول: العمل بعد العلم

المطلب الثاني: الوقوف عن حدود الله

المطلب الثالث: الصدق مع ذواتهم

المطلب الرابع: الأخذ بالأسباب وترك التواكل

المطلب الخامس: الاجتهاد ونبذ الجمود

خاتمة.

المطلع على واقع الصحابة رضوان الله عليهم يقف على حقيقة مفادها، أن الإسلام أحدث فيهم تغييرا جذريا ونقلهم نقلة جديدة تختلف تماما على تلك التي كانوا عليها في الجاهلية، فانتقلوا من حياة البداوة إلى حياة الحضارة، من حياة الجاهلية إلى حياة واضحة المعالم وفق منهج الوحي الذي أنار طريقهم، هذا التغير الذي أحدثه الوحي فيهم كان على كافة المستويات: الفكرية، العقدية، العبادية، الاجتماعية، الأخلاقية، وحتى النفسية، فكانت صناعة ربانية متكاملة بحق.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

وبعد الاستقراء لنصوص القرآن والسنة والسيرة والتأمل والنظر في نصوصها ومدلولاتها، وجدت أن الأسباب التي صنعت منهم إنسان الحضارة، ترجع إلى أسس عديدة لها معالم متنوعة، ووجدت أن تلك الأسس تنحصر في مجالين: المجال الروحي الإيماني، والمجال السلوكي العملي.

2. الأسس الروحية الإيمانية ومعالمها:

1.2 وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الصحابة:

وهذه خاصية لهم اقتضت حكمة الله عز وجل أن يمنحهم هم دون سواهم مرتبة الصحبة وتشكيل النواة الأولى للأمة المسلمة.

حيث كان لوجوده ﷺ بينهم الأثر الكبير في تربيتهم وتنشئتهم وصناعة الجيل النموذج في العقيدة والشريعة والأخلاق، الجيل الذي يعد قالب ومعيار في الارتقاء الإنساني من الترابية إلى نورانية الملائكة في الصفاء والطهر والامتثال، وهذا يصدقه ما جاء في وصفهم حين قال المصطفى ﷺ: (عن حنظلة الأسيدي، قال: – وكان من كتاب رسول الله ﷺ – قال: لقيني أبو بكر، فقال: كيف أنت؟ يا حنظلة قال: قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ، يذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيرا، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر، حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، قلت: نافق حنظلة، يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ" وما ذاك؟ " قلت: يا رسول الله نكون عندك، تذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرا فقال

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

رسول الله ﷺ: " والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة)[1]

ومن ذلك أيضا حديث أسيد بن حضير رضي الله عنه حين كان يقرأ القرآن فحضرته الملائكة: (أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده، إذ جالت فرسه، فقرأ، ثم جالت أخرى، فقرأ، ثم جالت أيضا، قال أسيد: فخشيت أن تطأ يحيى، فقمت إليها، فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السرج، عرجت في الجو حتى ما أراها، قال: فغدوت على رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي، إذ جالت فرسي، فقال رسول الله ﷺ: "اقرأ ابن حضير" قال: فقرأت، ثم جالت أيضا، فقال رسول الله ﷺ: "اقرأ ابن حضير" قال: فقرأت، ثم جالت أيضا، فقال رسول الله ﷺ: "اقرأ ابن حضير" قال: فانصرفت، وكان يحيى قريبا منها، خشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج، عرجت في الجو حتى ما أراها، فقال رسول الله ﷺ: "تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم)[2]

وأما كونهم النواة الأولى للأمة المسلمة والركيزة القوية التي بني على أساسها كيان الأمة، فتلك حكمة ربانية اختارتهم دون سواهم لحمل تلك الأمانة وتلك المسؤولية

[1]– أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك، 2016/4، ح(5044)، والترمذي في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه، باب، 247/4، (ح2498)، وأحمد في مسند الشاميين، حديث حنظلة الكاتب الأسيدي – (ح17298،) واللفظ لمسلم.

[2]– أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب نزول السكينة لقراءة القرآن، 548/1، (ح1368) واللفظ له، وأحمد في مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه – ح(11566).

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

العظيمة، فمن يقوى على تحمل ما تحمله بلال؟ وما تحمله ابن مسعود؟ ما تحمله أبو بكر؟ ما تحمله مستضعفو مكة؟ ما تحمله مهاجرو الحبشة؟ ما تحمله آل ياسر؟ ويصدق كل هذا ما أثبته النبي ﷺ في دعائه يوم بدر: (اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض، فما زال يهتف بربه، مادا يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه...)[1]

أما على مستوى تأثير النبي ﷺ واتباع تعاليمه وتبليغ رسالته فنحن وهم سواء، فهو موجود ﷺ بيننا بالقرآن وبسنته وسيرته ﷺ، وهذا بنص القرآن الكريم: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب/21]. وقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر/7]

2.2 اليقين في الله عز وجل:

الأساس الثاني وما بعده كان بإرادتهم وحسن امتثالهم ودقة فهمهم عن الله عز وجل وعن رسوله ﷺ.

وأقصد باليقين في الله الاعتقاد الراسخ في القلب بقدرة الله عز وجل على كل شيء، إذا سمع الصحابة أن الله سميع بصير، تجسد ذلك في واقعهم يقينا بأن الله يسمعهم ويراهم أينما كانوا، فولّد ذلك فيهم مراقبة الله في القول والفعل، وتمثلوا هذين الاسمين

[1] – أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر 1383/3 ح(3396،) واللفظ له، والترمذي في أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ باب ومن سورة الأنفال، ، ح(3089،) وغيرهما.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

من أسماء الله الحسنى في حياتهم اليومية، منذ يستيقظون حتى ينامون، حتى أثمرت تلك المراقبة تقوى الله في قلوبهم وتجلت على سلوكاتهم.

وقس على ذلك كل أسماء الله الحسنى، وكل ما كان يترل عليهم من الوحي ومن كلام النبوة، كانوا لا يتعدونه ولا يتجاوزونه حتى يتجسد واقعا فيهم.

ومن ذلك: يقينهم في معنى الاستعاذة بالله عز وجل، لما فهم الصحابة معنى الاستعاذة ووقفوا على مفهومها، تجسدت حقيقة في حياتهم اعتقادا وممارسة، فلما كان معنى الاستعاذة بالله من كل شر وأكبر الشر الشيطان الرجيم، هو اللجوء إلى الله والاحتماء به، أي طلب حمايته ورعايته من الشيطان اعتقد الصحابة ذلك يقينا، فكان إذا قال أحدهم: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، لم يخش بعدها شيئا، لأنه اعتقد يقينا أن الله حاميه فلا شيء يؤذيه يقينا، لا مجرد لفظ قاله، فتتحقق الحماية فعلا وواقعا.

"على أن المراد من الاستعاذة ليس مجرد ذكر الاستعاذة باللسان، فالاستعاذة باللسان وحده لا تدفع عن الإنسان نزغ الشيطان، وإنما الذي ينفع هو الاستعاذة اللسانية المقرونة بصدق الاستعاذة القلبية، وذلك بإحضار معناها في التصور، مع اتجاه الإرادة الجازمة لذلك، واللسان مساعد لاستجماع هذه الحالة داخل النفس. يقول الفخر الرازي في قوله تعالى (إنه سميع عليم) يدل على أن الاستعاذة باللسان لا تفيد إلا إذا حضر في القلب العلم بمعنى الاستعاذة، فكأنه تعالى قال: اذكر لفظ الاستعاذة بلسانك فإني سميع، واستحضر معاني الاستعاذة بعقلك وقلبك فإني عليم بما في ضميرك. وفي الحقيقة القول اللساني بدون المعارف القلبية عديم الفائدة والأثر."[1]

صورة ثانية على يقينهم في الله عزو جل، اعتقادهم الجازم في نفع الرقية بالقرآن، وأن الله يشفي بذلك، فعن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: (انطلق نفر من أصحاب النبي

[1]– قواعد تدبر القرآن، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ص 114 بتصرف.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

ﷺ في سفرة سافروها، حتى نزلوا على حي من أحياء العرب، فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم، فلدغ سيد ذلك الحي، فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا، لعله أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم، فقالوا: يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ، وسعينا له بكل شيء لا ينفعه، فهل عند أحد منكم من شيء ؟ فقال بعضهم: نعم، والله إني لأرقي، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا، فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يتفل عليه، ويقرأ: الحمد لله رب العالمين فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قلبة)[1] الرجل متيقن أن الله سيشفيه برقية القرآن فطلب أجرة على ذلك، وقد كان ما أراد من الشفاء ومن الأجرة.

كان اليقين فيهم متجسدا فرادى وجماعات، وهذه صورة ذكرها القرآن الكريم ليقين الصحابة في الله وفي نصره، وهم في عز الابتلاء والخوف والزلزلة النفسية، محاطون بالعدو من جميع الجهات، ومع ذلك لم يزدهم المشهد إلا إيمانا ويقينا وتسليما، يقول الحق تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب/22].

وكان ذلك في غزوة الأحزاب وقد عاش المؤمنون مع النبي ﷺ أصعب الأوقات وأحرجها حتى كان الواحد منهم يخشى أن يبرح مكانه، وهذا حذيفة رضي الله عنه يصف لنا هول المشهد: (كنا عند حذيفة، فقال رجل: لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت، فقال حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك؟ لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة

[1]– أخرجه البخاري في كتاب الإجارة، باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب، 29/3، ح (2177)، وفي كتاب الطب، وأبو داود في كتاب البيوع، أبواب الإجارة، باب في كسب الأطباء، 14/4، ح (2982).

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

الأحزاب، وأخذتنا ريح شديدة وقر، فقال رسول الله ﷺ: "ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟" فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال: "ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟" فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال: "ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة ؟، فسكتنا فلم يجبه منا أحد، فقال: "قم يا حذيفة، فأتنا بخبر القوم"، فلم أجد بدا إذ دعاني باسمي أن أقوم، قال: "اذهب فأتني بخبر القوم، ولا تذعرهم علي، فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم، فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار، فوضعت سهما في كبد القوس فأردت أن أرميه، فذكرت قول رسول الله ﷺ: "ولا تذعرهم علي"، ولو رميته لأصبته فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام، فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم، وفرغت قررت، فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها، فلم أزل نائما حتى أصبحت، فلما أصبحت قال: "قم يا نومان)[1]

"ثم تأتي صورة الإيمان الواثق المطمئن، وصورة المؤمنين المشرقة الوضيئة في مواجهة الهول وفي لقاء الخطر، الخطر الذي يزلزل القلوب المؤمنة، فتتخذ من هذا الزلزال مادة للطمأنينة والثقة والاستبشار واليقين (ولما رأى المؤمنون الأحزاب...) لقد كان الهول الذي واجهه المسلمون في هذا الحادث من الضخامة، وكان الكرب الذي واجهوه من الشدة، وكان الفزع الذي لقوه من العنف، بحيث زلزلهم زلزالا شديدا، كما قال عنهم أصدق القائلين (هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا)... ولكن كان إلى جانب الزلزلة وزوغان الأبصار وكرب النفوس، كان إلى جانب هذا كله الصلة التي لا تنقطع بالله، والإدراك الذي لا يضل عن سنن الله، والثقة التي لا تتزعزع بثبات هذه السنن...ومن ثم اتخذ المؤمنون شعورهم بالزلزلة سببا في انتظار النصر.

[1]– أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، 1414/3، ح (3430).

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

ذلك أنهم صدقوا قول الله سبحانه من قبل: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة/214].

وها هم أولاء يزلزلون، فنصر الله إذن قريب! ومن ثم قالوا: ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب/22].

3.2. حقيقة التوكل على الله عز وجل:

فهم الصحابة رضوان الله عليهم التوكل حقيقة الفهم، إذ التوكل هو الاعتماد الكلي والمطلق على الله عز وجل والثقة التامة في ذلك الاعتماد، لا يراودهم أدنى شك في معيته ونصره. ولما كان هذا فهمهم، تحول إلى سلوك عملي في حياتهم، فإذا توكل أحدهم على الله مضى في أمره دون تردد بل كله يقين أن الله معه ولن يخذله، وليس مجرد عبارة يتلفظ بها بأنه توكل على الله، لا يرى أحدا مع الله في قضاء حاجته، وإن قضى بعض الخلق تلك الحاجة فهم في عينه مجرد أسباب ساقها الله له لأنه توكل عليه.

وأمثل لذلك بقصة أبي مسعود رضي الله عنه، أيام الجهر بالدعوة، ابن مسعود معروف بقلة جاهه ونحافة بدنه، ولكنه الإنسان الأقوى والأصلب لأنه معتمد على ربه، حيث جاء في حديث عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: (كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة عبد الله بن مسعود قال: اجتمع يوما أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط فمن رجل يسمعهموه؟ قال عبد الله بن مسعود: "أنا"، قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه، قال: "دعوني فإن الله عز وجل سيمنعني" قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى، وقريش في أنديتها فقام عند المقام، ثم قال: "بسم الله الرحمن الرحيم رافعا صوته ﴿الرحمن علم القرآن﴾ قال: ثم استقبلها يقرأ فيها" قال: وتأملوا

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

فجعلوا يقولون: ما يقول ابن أم عبد ؟ قال: ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه، فقالوا: هذا الذي خشينا عليك قال: "ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها"، قالوا: حسبك فقد أسمعتهم ما يكرهون)[1] توكله على ربه وثقته فيه أمده بقوة يعجز عنها الأقوياء.

مثال آخر في حسن توكل الصحابة على الله عز وجل وترجمة ذلك لسلوك في حياتهم حديث عياض الأشعري قال: (شهدت اليرموك وعلينا خمسة أمراء أبو عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان وابن حسنة، وخالد بن الوليد، وعياض – وليس عياض هذا بالذي حدث سماكا – قال: وقال عمر إذا كان قتال فعليكم أبو عبيدة، قال: فكتبنا إليه إنه قد جاش إلينا الموت، واستمددناه، فكتب إلينا إنه قد جاءني كتابكم تستمدوني، وإني أدلكم على من هو أعز نصرا وأحضر جندا: الله عز وجل فاستنصروه "فإن محمدا صلى الله عليه وسلم قد نصر يوم بدر في أقل من عدتكم"، فإذا أتاكم كتابي هذا فقاتلوهم، ولا تراجعوني، قال: فقاتلناهم فهزمناهم وقتلناهم أربع فراسخ)[2]

رفض أبو عبيدة رضي الله عنه إمدادهم بالعدد لأسباب لا نعلمها وتوجيههم إلى أمر قد يبدو للبعض عاطفي، وهم كانوا يرونه حقيقة يمكن الاعتماد عليها، وهو التوكل على الله عز وجل، وفعلا امتثلوا لتوجيهاته في الاقتداء بالنبي ﷺ في توكله على ربه يوم بدر مع قلة العدة والعتاد، وجاء النصر حليفهم.

[1]– أخرجه أحمد في فضائل الصحابة – فضائل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ح (1482).

[2]– أخرجه أحمد في المسند، مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند الخلفاء الراشدين، أول مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه ح (346)، وابن أبي شيبة في مصنفه كتاب التأريخ، ما حفظت في اليرموك – ح (33170).

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

وقد وصفهم القرآن الكريم بهذه الصفة وهي التوكل الحقيقي على الله عز وجل وأن ثمرة ذلك هو النصر، فيقينهم أنه من يتوكل على الله فهو حسبه، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤﴾ [آل عمران/173–174].

صورة ثالثة لحسن توكلهم، ما كان من أبي بكر رضي الله عنه في تصدقه بكل ماله والتوكل على الله في رزق أهله، (قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك عندي مالا، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: " "ما أبقيت لأهلك؟" "قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟" "قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسبقه إلى شيء أبدا)[1]

4.2. التعلق بالآخرة:

تعلق الصحابة بالآخرة ليس بالتفكر في الجنة ولا بركعات يركعونها وأيام يصومونها، وإن كانوا فعلوا كل ذلك، بل التعلق بالآخرة عندهم سلوك استغرق كل حياتهم وكل تفكيرهم، إذا ظلموا تذكروا الآخرة، إذا غضبوا تفكروا الآخرة، إذا أكلوا تذكروا الآخرة، وإذا ناموا ذكروا الآخرة، وإذا استيقظوا ذكروا الآخرة، إذا باعوا واشتروا ذكروا الآخرة، وإذا تزوجوا ذكروا الآخرة، وإذا جاهدوا فللآخرة، صارت هي

[1]– أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة، باب في الرخصة في ذلك ح (1442)، والترمذي في أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم – باب، ح (3693)، وقال: حسن صحيح، واللفظ له، والدارمي في كتاب الصلاة، باب الرجل يتصدق بجميع ما عنده ح (1664).

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

المحرك لتصرفاتهم والمحور الذي تبنى عليه كل الأعمال، هذا معنى تعلقهم بالآخرة. كانت الآخرة عاملا داخليا أساسا يوجه تصرفاتهم ويحدد تفكيرهم يزجرهم ويرغبهم، يحفزهم ويثنيهم، مثلما تفعل فينا نحن الدنيا تماما، هي المحرك لتصرفاتنا اليومية.

وأمثل لذلك التعلق بصورتين:

الأولى: صورة ذلك الصحابي الذي كان يرى الجنة أمامه ورأى أن بينها وبينه عائقا فكسر ذلك العائق وتخطاه ليصل إلى جنته، إنه الصحابي عمير بن الحمام رضي الله عنه، حيث كان في معركة مع المشركين رفقة رسول الله ﷺ (فدنا المشركون، فقال رسول الله ﷺ: "قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض"، قال: -يقول عمير بن الحمام الأنصاري: -يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: "نعم"، قال: بخ بخ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما يحملك على قولك بخ بخ؟ "قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاءة أن أكون من أهلها، قال: "فإنك من أهلها"، فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل)[1]

من شدة تعلقه بالآخرة رضي الله عنه رأى أكل تمرات - الذي لا يستغرق دقائق- حياة طويلة.

الصورة الثانية: صورة الصحابية التي اشتهرت قصتها بين الصحابة وفي كتب التراجم، بأنها كلما تزوجت رجلا استشهد، إنها عاتكة بنت زيد رضي الله عنها، حيث وردت أخبارا كثيرة في زواجها من عبد الله بن أبي بكر ثم من عمر بن الخطاب ثم من الزبير بن العوام، وفي رواية كان زواجها الأخير من الحسين بن علي رضي الله عنهم أجمعين، حتى نقل فيها ابن سعد مقولة أهل المدينة فيها، وهي الشاهد من تعلق هؤلاء

[1]- أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد – ح (3611)، وغيره.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

القوم بالآخرة حتى في زواجهم، حيث ذكر ابن سعد في الطبقات بعد أن سرد سيرة هذه الصحابية قوله: (، وكان أهل المدينة يقولون: من أراد الشهادة فليتزوج عاتكة بنت زيد، كانت عند عبد الله بن أبي بكر فقتل عنها ، ثم كانت عند عمر بن الخطاب فقتل عنها ، ثم كانت عند الزبير فقتل عنها...)[1]

كل من تتزوجه هذا المرأة يستشهد ومع ذلك نجد الرجال مقبلون عليها وعلى الزواج منها، ولكن إقبالهم له تعلق بالآخرة، وهذا ما أثبتته مقولة أهل المدينة: من أراد الشهادة فليتزوج عاتكة.

هذه المقولة تصور لنا تصويرا جليا كيف كان الصحابة ينظرون إلى متع الدنيا، لم تكن المتعة مقصودة لذاتها، بل لأنها مطية الآخرة، تعلقهم بالآخرة شديد لدرجة أن أحدهم يرى الموت في تلك الزيجة ولكنه يطلبها لأنه يريد الجنة. حتى أن عليا رضي الله عنه خطبها بعد استشهاد عمر رضي الله عنه فقالت له: (ثم خطبها عَلِيّ بْن أَبِي طَالِبٍ رضي اللَّه عنه بعد انقضاء عدتها من الزُّبَيْر، فأرسلت إليه إني لأضنّ بك يا بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم عَنِ القتل–)[2]

5.2. الزهادة في الدنيا: المقصود بذلك سقوط الدنيا من أعينهم وخروجها من قلوبهم وهي في أيديهم، هذا هو الزهد الحقيقي، أن ترغب عن الدنيا وهي مقبلة عليك،

[1]– أخرجه ابن سعد في الطبقات، طبقات البدريين من المهاجرين، ح (2880)، وذكرت كتب السير زواجها من هؤلاء الصحابة، ذكر ذلك ابن عبد البر في الاستيعاب وأبو نعيم في معرفة الصحابة، وغيرهم كثير.

[2]– الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، 4/ 1879.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

لأنهم عرفوا حقيقة الحياة الدنيا، وأنها دار عمل وامتحان لا دار متعة وراحة، فكانوا يتزودون منها بقدر ما يعينهم على الاستعداد للآخرة، على تفاوت طبعا في درجاتهم وقدر إيمانهم.

أمثل لذلك بموقف أبي بكر رضي الله عنه حين تصدق بكل ماله وأراد عمر رضي الله عنه منافسته فتصدق بنصف ماله، أمثال هؤلاء الصحابة لم يكونوا فقراء بل كانوا أغنياء، بمعنى ما تصدقوا به ثروة كبيرة، ولكنها هانت في أعينهم لأنها من متاع الدنيا مقابل ما تيقنوا من جزائه عند رب العالمين، ففاضت أياديهم بالخير حبا لله وتنافسا على الآخرة.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك عندي مالا، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما، قال: فجئت بنصف مالي فقال رسول الله ﷺ: "ما أبقيت لأهلك؟" "قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: "يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسبقه إلى شيء أبدا.)[1]

هذا هو الزهد في الدنيا أن تخرج من قلبك وذلك باليقين فيما عند الله عز وجل من جزاء، وحسن التوكل عليه.

وصورة أخرى لتلك الزهادة ما فعله عثمان بن عفان رضي الله عنه بأمواله في سبيل خدمة المسلمين، حيث جاء في حديث مطول: (: هذا عثمان بن عفان، قد جاء،

[1]– أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الزكاة، باب في الرخصة في ذلك، ح (1442)، والترمذي في أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب، ح (3693)، وقال هذا حديث حسن صحيح، واللفظ له، والدارمي في سننه كتاب الصلاة، باب الرجل يتصدق بجميع ما عنده، ح (1664)، وغيرهم.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

قال: فجاء وعليه ملية صفراء، فقلت لصاحبي: كما أنت حتى أنظر ما جاء به فقال عثمان أهاهنا علي؟ أهاهنا الزبير؟ أهاهنا طلحة؟ أهاهنا سعد؟ قالوا: نعم، قال: فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: "من يبتاع مربد بني فلان غفر الله له؟" فابتعته، فأتيت رسول الله ﷺ، فقلت: إني ابتعت مربد بني فلان، قال: "فاجعله في مسجدنا وأجره لك"، قالوا: نعم، قال: فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ، قال: "من يبتاع بئر رومة غفر الله له؟ " فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: قد ابتعت بئر رومة قال: "فاجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك"، قالوا: نعم، قال: فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: "من يجهز جيش العسرة غفر الله له؟" فجهزتهم حتى ما يفقدون عقالا ولا خطاما، قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد)[1]

هل يقدر الإنسان ما معنى أن يُجهز جيش بكامله؟ إنها ميزانية دولة. كل هذا الإنفاق لم يحرك شيئا في قلب عثمان رضي الله عنه، بل كان مسرورا به، لأن همّه الآخرة ورضى رب العالمين، أما الدنيا فلا تساوي في قلبه شيئا، وإلا لما أنفق بهذا القدر.

صورة أخرى لزهادتهم في الدنيا، ما فعله أبو طلحة رضي الله عنه من تبرعه بأحب أمواله طلبا للجنة، حيث جاء في الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قوله: (كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل، وكان أحب أمواله إليه بَيرَحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية: لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام أبو طلحة إلى رسول

[1]– أخرجه البخاري معلقا في كتاب الوصايا باب إذا وقف أرضا..، ح (2778)، ووصله ابن حجر من طرق أخرى، والنسائي في سننه، كتاب الأحباس، باب: وقف المساجد ح (3569)، وغيرهم، واللفظ للنسائي.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وإن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله ﷺ: "بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح..)[1]

رجل غني وتصدق بأغلى وأثمن شيء عنده عن حب ورضى، لأن هدفه الجنة وليس الدنيا، تعلقه الشديد بالآخرة ويقينه فيما عند ربه، جعل الدنيا تهون في عينه، فوهبها لله عن طواعية.

غني أخر من الصحابة الكرام، كل ماله تنازل عنه مقابل قبول توبته من خطأ فعله، إنه الصحابي كعب بن مالك رضي الله عنه، حيث جاء عنه: (...فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله، قال رسول الله ﷺ: "أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك". قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر...) تصدق بكل ثروته مقابل أنّ الله عز وجل قبل توبته من تخلفه عن غزوة تبوك، لا يقوى على ذلك ولا يستطيعه إلا رجل امتلأ قلبه بحب الآخرة والزهادة في الدنيا، وتلك هي صفة جيل الصحابة رضوان الله عليهم.

ونختم مشهد زهد الصحابة في الدنيا وصغرها في نفوسهم، بموقف الصحابيات رضوان الله عليهن حين تصدقن بحليهن، ومعروف أن المرأة أعز ما لديها وأحب شيء عندها الحلي، ومع ذلك تخلين عنه حبا في الله ورسوله والدار الآخرة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (خرج النبي ﷺ يوم عيد، فصلى ركعتين لم يصل قبل ولا بعد،

[1]– أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة – باب لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون إلى به عليم، ح (4288) واللفظ له، وفي غيره من الكتب، وأخرجه مالك في الموطأ، كتاب الصدقة، باب الترغيب في الصدقة – ح (1817)، وغيرهما.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

ثم مال على النساء، ومعه بلال فوعظهن، وأمرهن أن يتصدقن، فجعلت المرأة تلقي القلب والخرص)[1] وفي رواية مسلم (فجعلن يتصدقن من حليهن، يلقين في ثوب بلال من أقرطتهن وخواتمهن.)

هذا الزهد في الدنيا من الصحابة رضوان الله عليهم وهي في أيديهم، حررهم من قيود أهواء النفس وارتباطها بالمادة، واللهث وراءها، فوهبتها أنفسهم سخية لله ولرسوله طمعا في الآخرة ونعيمها، وكان لذلك الأثر البالغ في توثيق عرى الأخوة والتماسك في مجتمع النبوة، ووحدة الصف ونبذ الحقد والحسد والغيرة وفساد ذات البين، وغيرها من الأمراض النفسية والقلبية التي تتولد من حب الدنيا والتهافت عليها.

3. الأسس السلوكية العملية ومعالمها:

1.3 العمل بعد العلم:

المقصود بذلك أن الصحابة رضوان الله عليهم كان مقصودهم ومبتغاهم مما يسمعونه ويأخذونه عن رسول الله ﷺ هو العمل به والامتثال له والاتباع، وليس مجرد المعرفة والعلم.

ولذا لم يكونوا يؤجلون ويسوفون ويؤخرون ما يتعلمونه منه ﷺ، ولأجل هذه الخصلة مدحهم القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور/51.]

فكانوا يحرصون على التعلم بنية الالتزام ابتداء، ويؤكد هذا المعنى حديث الأعرابي الذي جاء سائلا عن فروض دينه فلما تعلمها، قال: (لا أزيد) ليس اعتراضا ولا نفورا

[1] – أخرجه الشيخان، البخاري في كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها –ح (1375)، واللفظ له ومسلم في كتاب صلاة العيدين، ح (1514).

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

وإنما العزم على الإتقان والتنفيذ، حيث جاء في الحديث: (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس، يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول، حتى دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: "خمس صلوات في اليوم والليلة" . فقال: هل علي غيرها ؟ قال: "لا، إلا أن تطوع" . قال رسول الله ﷺ: "وصيام رمضان" . قال: هل علي غيره ؟ قال: "لا، إلا أن تطوع" . قال: وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة، قال: هل علي غيرها ؟ قال: "لا، إلا أن تطوع" . قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، قال رسول الله ﷺ: "أفلح إن صدق)[1].

وكانوا رضوان الله عليهم يتريثون في حفظ القرآن ولا يستعجلون لأجل إتقانه وفهمه والعمل به، وهذا ما جاء في الأثر عن أبي عبد الرحمن السلمي: (حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، أنهم كانوا "يقترئون من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات"، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا: فعلمنا العلم والعمل.)[2]

وجاء عن مالك أن أَنَّهُ بَلَغَهُ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ مَكَثَ عَلَى سُورَةِ الْبَقَرَةِ، ثَمَانِيَ سِنِينَ يَتَعَلَّمُهَا[3].

[1]– متفق عليه من حديث طلحة بن عبيد الله، أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: الزكاة من الإسلام – ح (46) واللفظ له، وفي غيره، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام – ح(37) .

[2]– أخرجه أحمد في مسند الأنصار، حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم – ح (22887)، وابن أبي شيبة في مصنفه، من روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ممن لم يسم، ح (942)، ومجاهد في تفسيره حديث (1)، وابن جرير في مقدمة تفسيره، وصححه أحمد شاكر، فإن أبا عبد الرحمن السلمي تابعي لا يحدث إلا عن الصحابة.

[3]– أخرجه مالك في الموطأ، كتاب القرآن، باب ما جاء في القرآن – ح (480) .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

يقول ابن عبد البر في شرحه: "وَأَمَّا حَدِيثُ مَالِكٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ مَكَثَ عَلَى سُورَةِ الْبَقَرَةِ ثماني سنين يتعلمها فهو من قول بن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّكَ فِي زَمَانٍ كَثِيرٍ فُقَهَاؤُهُ قَلِيلٌ قُرَّاؤُهُ إِنَّهُ كَانَ يَتَعَلَّمُهَا بِأَحْكَامِهَا وَمَعَانِيهَا وَأَخْبَارُهَا فَكَذَلِكَ طَالَ مُكْثُهُ فِيهَا. وَمَعْلُومٌ أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ حِفْظُ الْقُرْآنِ وَيُفْتَحُ لَهُ فِي غَيْرِهِ. وَكَانَ بن عُمَرَ فَاضِلًا وَقَدْ حَفِظَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم في جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ عُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وبن مَسْعُودٍ وَسَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَغَيْرُهُمْ."[1]

وقال الزرقاني تعليقا على الأثر: "لَيْسَ ذَلِكَ لِبُطْءٍ مَعَاذَ اللَّهِ، بَلْ لِأَنَّهُ كَانَ يَتَعَلَّمُ فَرَائِضَهَا وَأَحْكَامَهَا وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا..."[2]

ويؤكد منهجهم هذا، عدم خوضهم فيما لا عمل فيه، بل الانصراف عنه تماما، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أثارته كلمة (وأباً) في القرآن أراد أن يعرف ما هو (الأبّ) ثم تدارك الأمر، وأدرك أنه لا طائل من معرفته إذ لا يترتب على معرفته عمل، فجاء في الأثر: (عن أنس، أن عمر قال على المنبر: وفاكهة وأبا، ثم قال: "هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟"، ثم رجع إلى نفسه، فقال: "إن هذا لهو التكلف يا عمر.)[3]

[1]– الاستذكار، ابن عبد البر، (2/ 502)

[2]– شرح الزرقاني على الموطأ، الزرقاني، (2/ 21)

[3]– الأثر عن عمر، رواه عنه أنس بن مالك رضي الله عنه، ورواه عن أنسٍ جماعة هم (حميد – الزهري – ثابت – قتادة – موسى بن أنس – معاوية بن قرة) .أخرجه الطبري في "تفسيره" (120/24)، وأبو عبيد في "فضائل القرآن" (688)، وسعيد بن منصور في "التفسير من سنن سعيد بن منصور" (43)، وابن أبي شيبة في "مصنفه" (30105)، والحاكم في "المستدرك" (3897)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (2084)، جميعا من طريق حميد. وأخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" (3501)،

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

وهذا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يحدث عن نفسه أنه كان يسأل ليتعلم الشر فيجتنبه ويتعلم الخير ليأتيه، حيث قال: (كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر كيما أعرفه فأتقيه، وعلمت أن الخير لا يفوتني...)[1]

وجاءت أحاديث كثيرة ثابتة تنص على أن الصحابة كانوا يسألون النبي ﷺ عن أعمال تدخلهم الجنة، فكانوا يبحثون عن العمل لا المعرفة، العمل الذي تترتب عليه الجنة فيحرصون على فعله، ومنه، (عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن أعرابيا أتى النبي ﷺ، فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: "تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان" قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا، فلما ولى، قال النبي ﷺ: "من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر إلى هذا.)[2] فكانت نتيجة صدقه في نيته وعزمه على الامتثال أن رآه النبي ﷺ من أهل الجنة.

ومن الأدلة أيضا على حرصهم على التعلم للعمل قول ذلك الرجل: (أن رجلا أتى إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، علمني كلمات أعيش بهن، ولا تكثر عـــلي

والطبري في "تفسيره" (121/24)، والطبراني في "مسند الشاميين" (2989)، والحاكم في "المستدرك" (3897)، جميعا من طريق الزهري.

[1]– أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها – ح (3724) وقال الألباني: صحيح. والحاكم في مستدركه، كتاب الفتن والملاحم، ح (8394)، وأحمد في مسنده، ح (22836). وصححه شعيب الأرناؤوط.

[2]– متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة – ح (1344)، وفي غيره، ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة ح (41).

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

فأنسى، فقال رسول الله ﷺ: " لا تغضب)[1]

والشاهد في قوله (أعيش بهن) أي يجعلهن منهج حياته يستقيم عليه، وكذا قوله (ولا تكثر علي فأنسى) الرجل صادق في طلبه ونية العمل بما طلب، فلا يريد الكثرة حتى لا تتزاحم عليه فينسى ولا يتقن شيئا.

وحرصهم الشديد على العمل والتنافس في ذلك جعل بعضهم يتحسرون على ما فاتهم من الطاعات وراحوا يطلبون أعمالا أخرى تعينهم على إدراك السابقين لهم، حيث جاء في الحديث الصحيح: (جاء الفقراء إلى النبي ﷺ، فقالوا: ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلا، والنعيم المقيم يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموال يحجون بها، ويعتمرون، ويجاهدون، ويتصدقون، قال: "ألا أحدثكم إن أخذتم أدركتم من سبقكم و لم يدرككم أحد بعدكم...)[2]

2.3 **الصدق مع ذواتهم:** المقصود بذلك أنهم لم يكنوا يتكلفون ويتصنعون التقوى ويدعون الكمال، بل كانوا يعيشون بشريتهم بكل ضعفها وغفلتها ونسيانها، وفي الحين نفسه كانوا يجاهدون أنفسهم من أجل الارتقاء إلى مدارج الكمال ينجحون مرات ويفشلون أخرى، وهذا ديدنهم مجاهدة النفس حتى لقاء ربهم.

[1]– أخرجه والترمذي في أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في كثرة الغضب، ح (1993)، وقال حديث حسن صحيح غريب ومالك في الموطأ، كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في الغضب – ح (1630) واللفظ له، والبخاري في كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب – ح (5771) .

[2]– متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري في كتاب الأذان، أبواب صفة الصلاة باب الذكر بعد الصلاة، ح (820) ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته ح (968).

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

فإذا أخطأ أحدهم لم يكن يخادع ويتظاهر بالكمال، بل على العكس كان يأتي معترفا بذنبه منكسرا متذللا عله يجد الحل عند رسول الله ﷺ، ليتطهر، ولا يضره أن يعرف إخوانه ذلك ولا يخشى أن يسقط في نظرهم، لأنه لا يهتم إلا لرضى ربه عنه.

فهذا ماعز والغامدية رضي الله عنهما لم يعلم بمعصيتهما أحد، وكان بإمكانهما إخفاء ذلك، والتوبة بينهما وبين الله عز وجل، وليست الفعلة بهينة بل فضيحة، ولكن لصدقهما مع نفسيهما وفيما بينهما وبين الله أرادا أن يتطهرا من الذنب مهما كان الثمن، وبالفعل كان الثمن حياتهما، ولكنهما لم يأبها لذلك، لأن غايتهما الجنة لا متعة الحياة الدنيا والذكر الحسن والمظهر اللائق أمام الناس.

وأصرا على الاعتراف رغم رد النبي ﷺ لهما وبقيا حريصين على الإقرار بالخطيئة حتى أقيم عليهما الحد، في صورة تكاد تفوق الخيال من صدقها ومن صدق صاحبيها وارتقائهما في سلم الطهر والفضيلة. لم يتكرر مشهد مثله في تاريخ البشرية.

(جاء ماعز بن مالك إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، طهرني، فقال: "ويحك، ارجع فاستغفر الله وتب إليه"، قال: فرجع غير بعيد، ثم جاء، فقال: يا رسول الله، طهرني، فقال رسول الله ﷺ: "ويحك، ارجع فاستغفر الله وتب إليه"، قال: فرجع غير بعيد، ثم جاء، فقال: يا رسول الله، طهرني، فقال النبي ﷺ: مثل ذلك حتى إذا كانت الرابعة، قال له رسول الله: "فيم أطهرك؟" فقال: من الزنى، فسأل رسول الله ﷺ: "أبه جنون؟" فأخبر أنه ليس بمجنون، فقال: "أشرب خمرا؟" فقام رجل فاستنكهه، فلم يجد منه ريح خمر، قال، فقال رسول الله ﷺ: "أزنيت؟" فقال: نعم، فأمر به فرجم، فكان الناس فيه فرقتين، قائل يقول: لقد هلك، لقد أحاطت به خطيئته، وقائل يقول: ما توبة أفضل من توبة ماعز، أنه جاء إلى النبي ﷺ فوضع يده في يده، ثم قال: اقتلني بالحجارة، قال: فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة، ثم جاء رسول الله ﷺ وهم جلوس، فسلم ثم جلس،

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

فقال: "استغفروا لماعز بن مالك"، قال: فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك، قال، فقال رسول الله ﷺ: "لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم"، قال: ثم جاءته امرأة من غامد من الأزد، فقالت: يا رسول الله، طهرني، فقال: "ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه" فقالت: أراك تريد أن ترددني كما رددت ماعز بن مالك، قال: "وما ذاك؟" قالت: إنها حبلى من الزنى، فقال: "آنت؟" قالت: نعم، فقال لها: "حتى تضعي ما في بطنك"، قال: فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت، قال: فأتى النبي ﷺ، فقال: "قد وضعت الغامدية"، فقال: "إذا لا نرجمها وندع ولدها صغيرا ليس له من يرضعه"، فقام رجل من الأنصار، فقال: إلي رضاعه يا نبي الله، قال: فرجمها)[1] وفي رواية ثانية لمسلم: (فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له"، ثم أمر بها فصلى عليها، ودفنت)

نموذج آخر من صدق الصحابة مع ذواتهم واعترافهم بوقوع المعاصي منهم، وإقرارهم بضعفهم البشري من غير تصنع في إظهار الطاعة وإخفاء ضدها. ما وقع لحاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، وهو من هو في سبقه للإسلام، وشهوده بدر الكبرى، ومصاحبة النبي ﷺ وكبار الصحابة، ومع ذلك ضعفت نفسه وزلت قدمه، ولكن مع ذلك لم يتوانى في الاعتراف بجرمه والاعتذار لرسول الله ﷺ ويفصح في صدق أنه لم يقصد خيانة الله ورسوله، بل هو الضعف البشري في الخوف على الأهل والولد والنفس من البطش، وما أنجاه إلا صدقه مع ذاته وقلب النبي ﷺ الرحيم بأمته.

[1]– أخرجه مسلم في كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى ح (3292) واللفظ له، وأبو داود في كتاب الحدود، باب رجم ماعز بن مالك ح (3857)، والترمذي في أبواب الحدود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم – باب ما جاء في درء الحد عن المعترف إذا رجع، ح (1386)، وغيرهم.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير، والمقداد بن الأسود، قال: "انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة، ومعها كتاب فخذوه منها"، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول ﷺ: "يا حاطب ما هذا؟ قال: يا رسول الله، لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقا في قريش، و لم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرا ولا ارتدادا، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: لقد صدقكم، قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)[1]. وتحمل حاطب رضي الله عنه تبعات هذا الاعتراف، من لوم النبي ﷺ الشديد له، ونظره الصحابة له، وعلى رأسهم عمر رضي الله عنه الذي وصفه بالمنافق، ولكنه لم يتحجج بحجج واهية لتبرئة نفسه من جريمة الخيانة، بل استند في اعترافه على ضعفه البشري، وترك أمر الحكم عليه لرسول الله ﷺ.

نموذج ثالث من الصفاء الروحي للصحابة في إقرارهم بضعفهم البشري وعدم التخفي وراء الأعذار المختلقة حتى لا تهتز صورتهم أمام المجتمع، وهذا ديدن المنافقين

[1]– متفق عليه من حديث علي رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس ح (2866) واللفظ له، وفي غيره، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم وقصة حاطب ح (4655).

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

ضعاف النفوس، المهتمين بالمنظر على حساب المخبر، موقف كعب بن مالك رضي الله عنه حين تخلف عن غزوة تبوك مع اثنين من الصحابة.

وبروي هو نفسه ذلك الصراع النفسي الذي عاشه بكل تفاصيله ومرارته، بكل صدق مصورا الضعف البشري تصويرا بليغا ويوصف حتى خلجات صدره وحديث نفسه، في تصوير فني بليغ شفاف لا تصنع فيه ولا نفاق، وكأنه لسان حاله يقول: ها أنا ذا كعب الصحابي الذي ترونه كبيرا في أعينكم، شهد جل المواقع مع رسول الله ﷺ و لم يتخلف عنه، كعب المفوه صاحب العلاقات الديبلوماسية مع الخارج الذي عرض عليه ملك الغساسنة النبطي مترلة عليا ويترك رسول الله ﷺ، كعب المشهود له بالطاعة والجهاد وحسن الصحبة.

كل هذا لم يغره ليعتذر عن فعلته في التخلف، بل آثر الصدق مع نفسه قبل أن يكون مع الله ورسوله، وهذا ابنه يروي لنا القصة كاملة:

(سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك، قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر، و لم يعاتب أحدا تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة، حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر، أذكر في الناس منها، كان من خبري: أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه، في تلك الغزاة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط، حتى جمعتهما في تلك الغزوة، و لم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة، غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفرا بعيدا، ومفازا وعدوا كثيرا، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

كتاب حافظ، يريد الديوان، قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له، ما لم ينزل فيه وحي الله، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، وتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم، فأرجع ولم أقض شيئا، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه، فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد، فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئا، فقلت أتجهز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحقهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز، فرجعت ولم أقض شيئا، ثم غدوت، ثم رجعت ولم أقض شيئا، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، وهممت أن أرتحل فأدركهم، وليتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم، أحزنني أني لا أرى إلا رجلا مغموصا عليه النفاق، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال: وهو جالس في القوم بتبوك: "ما فعل كعب" فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله، حبسه برداه، ونظره في عطفه، فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا، فسكت رسول الله ﷺ، قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجه قافلا حضرني همي، وطفقت أتذكر الكذب، وأقول: بماذا أخرج من سخطه غدا، واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أظل قادما زاح عني الباطل، وعرفت أني لن أخرج منه أبدا بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه، وأصبح رسول الله ﷺ قادما، وكان إذا قدم من سفر، بدأ بالمسجد، فيركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلا، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب، ثم قال: "تعال" فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: "ما خلفك، ألم تكن قد ابتعت ظهرك".

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

فقلت: بلى، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلا، ولكني والله، لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق، تجد علي فيه، إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله، ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى، ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، فقال رسول الله ﷺ: "أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك. فقمت، وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المتخلفون، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك، فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم، رجلان، قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين، قد شهدا بدرا، فيهما أسوة، فمضيت حين ذكروهما لي، ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا، فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا ؟ ثم أصلي قريبا منه، فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي وأحب الناس إلي، فسلمت عليه، فوالله ما رد علي السلام، فقلت: يا أبا قتادة، أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت، فعدت له

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

فنشدته فسكت، فعدت له فنشدته، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي، وتوليت حتى تسورت الجدار، قال: فبينا أنا أمشي بسوق المدينة، إذا نبطي من أنباط أهل الشأم، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدل على كعب بن مالك، فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إلي كتابا من ملك غسان، فإذا فيه: أما بعد، فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك و لم يجعلك الله بدار هوان، ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك، فقلت لما قرأتها: وهذا أيضا من البلاء، فتيممت بها التنور فسجرته بها، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين، إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني، فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها؟ أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك، فتكوني عندهم، حتى يقضي الله في هذا الأمر، قال كعب: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله: إن هلال بن أمية شيخ ضائع، ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: "لا، ولكن لا يقربك. قالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره، ما كان إلى يومه هذا، فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه؟ فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ، وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شاب؟ فلبثت بعد ذلك عشر ليال، حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله، قد ضاقت علي نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ، أوفى على جبل سلع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، قال: فخررت ساجدا، وعرفت أن قد جاء فرج، وآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل صاحبي مبشرون،

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

وركض إلي رجل فرسا، وسعى ساع من أسلم، فأوفى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني، نزعت له ثوبي، فكسوته إياهما، ببشراه والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول ﷺ، فيتلقاني الناس فوجا فوجا، يهنوني بالتوبة، يقولون: لتهنك توبة الله عليك، قال كعب: حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني، والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة، قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ، قال: رسول الله ﷺ، وهو يبرق وجهه من السرور: أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك، قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله، أم من عند الله؟ قال: لا، بل من عند الله. وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه، حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله، قال رسول الله ﷺ: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك. قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر، فقلت: يا رسول الله، إن الله إنما نجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا، ما بقيت. فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذبا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت، وأنزل الله على رسوله ﷺ: (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار) إلى قوله و(كونوا مع الصادقين) فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام، أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ، أن لا أكون كذبته، فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله قال للذين كذبوا – حين أنزل الوحي – شر ما قال لأحد، فقال تبارك وتعالى: (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم) إلى قوله (فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين)، قال كعب: وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله: (وعلى الثلاثة الذين خلفوا). وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو، إنما هو تخليفه إيانا، وإرجاؤه أمرنا، عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه)[1]

3.3. الوقوف عند حدود الله عز وجل:

كان الصحابة رضوان الله عليهم وقافين عند حدود الله، لا يتجاوزونها، إذا نهاهم عن شيء اجتنبوه كلية دون تردد، أو مجادلة أو تلكؤ، لا يجدون في نفوسهم حرجا من الإذعان لأمره سبحانه.

ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في تحريم الخمر، حيث كان العرب مولعين بالخمر وبمقارعتها، فعالج القرآن إدمانهم عليها بالتدرج في تحريمها، ولما نزلت آخر آية تحرمها قالوا: انتهينا ربنا.

حيث جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (ثم أنزلت آية أغلظ من ذلك: يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون، فقالوا: انتهينا ربنا)[2]

ويؤكد هذا حديث أنس بن مالك حين قال: (كنت ساقي القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة، وما شرابهم إلا الفضيخ: البسر والتمر، فإذا مناد ينادي، فقال: اخرج فانظر، فخرجت، فإذا مناد ينادي: "ألا إن الخمر قد حرمت"، قال: فجرت في

[1]– متفق عليه من حديث كعب، أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك ح (4165) واللفظ له، وفي غيره، ومسلم في كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه ح (5080).

[2]– أخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة رضي الله عنه – ح (8436).

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

سكك المدينة، فقال لي أبو طلحة: اخرج فأهرقها، فهرقتها.)[1] فبمجرد سماع الصحابة خبر تحريم الخمر توقفوا عن تعاطيها وتأكيدا لامتثالهم التام أمروا السقاة بتحطيم دنان الخمر، حتى جرت الخمر في أزقة المدينة.

وجاءت رواية أخرى توضح أكثر صورة الوقوف عند حدود الله في هذا الحديث ذكرها كل من ابن حبان وأبي عوانة وابن أبي شيبة، حيث قال الراوي: (...فمر رجل، فنادى، فقال: "ألا إن الخمر قد حرمت" قال: فوالله ما انتظروا أن يعلموا أحق ما قال أم باطل، فقالوا: أكفىء إناءك يا أنس، فكفأتها، فلم يرجع إلى رؤوسهم، حتى لقوا الله عز وجل، وكان خمرهم يومئذ البسر والتمر.)[2]

ومن الأمثلة أيضا على ذلك ما كان من أبي بكر رضي الله عنه لما قطع صدقته عن مسطح لما تكلم في السيدة عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك، غضبا لابنته، فنزل قرآنا يلومه على ذلك، فرجع مباشرة عن قراره وأعاد لمسطح ما كان يعطيه، في صورة رائعة من الوقوف عند أمر الله لا يتخطاه راميا بمشاعره وغضبه جانبا دون تردد ولا تململ، فكان بحق الصديق رضوان الله عليه، حيث جاء في الحديث الطويل عن عائشة رضي الله عنها: (فلما أنزل الله هذا في براءتي، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه: والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد ما

[1]– متفق عليه، أخرجه البخاري في – كتاب المظالم والغصب، باب صب الخمر في الطريق ح (2352)، ومسلم في كتاب الأشربة باب تحريم الخمر ح (3756)، واللفظ لمسلم، وغيرهما.

[2]– أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب الأشربة، باب آداب الشرب – ذكر وصف الخمر التي كانت الأنصار تشربها قبل تحريمها ح (5439)، وأبو عوانة في مستخرجه مبتدأ كتاب تحريم الخمر، باب الخبر الدال على أن الخمر ح (6377)، وابن أبي شيبة في مصنفه كتاب الأشربة، في الخليطين من البسر والتمر والزبيب من نهى عنه ح (23522)، واللفظ لأبي عوانة.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

قال لعائشة، فأنزل الله تعالى: ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا﴾ إلى قوله ﴿غفور رحيم﴾ فقال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه) [1]

ومن الأمثلة أيضا ما كان من ذلك الصحابي الذي كان يضرب عبده، فلما انتهره النبي ﷺ ألقى بالسوط مباشرة وعزم على ترك الضرب مطلقا في مشهد طاعة وانقياد مطلق لرسول الله ﷺ، ووقوفا عند نهيه لم يتجاوزه، حيث جاء في الحديث الصحيح: (قال أبو مسعود البدري: كنت أضرب غلاما لي بالسوط، فسمعت صوتا من خلفي، "اعلم، أبا مسعود"، فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا مني إذا هو رسول الله ﷺ، فإذا هو يقول: "اعلم، أبا مسعود، اعلم، أبا مسعود"، قال: فألقيت السوط من يدي، فقال: "اعلم، أبا مسعود، أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام"، قال: فقلت: لا أضرب مملوكا بعده أبدا) [2] وزيادة في الانقياد وبيان الطاعة والامتثال قال في رواية أخرى لمسلم: (فقلت: يا رسول الله، هو حر لوجه الله).

وأختم بموقف حدث لسيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه، ومَن عمر في مكانته في الإسلام، حيث حاججته امرأة في مسألة المهور ورجع عن قوله إلى قولها، في مشهد يرفع من مكانة الفاروق أكثر كونه وقافا عند حدود الله، ولا يهتم ممن خرج ذلك الحق،

[1] – متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري في كتاب الشهادات باب تعديل النساء بعضهن بعضا ح (2539)، وفي غيره، ومسلم في كتاب التوبة باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف ح (5081).

[2] – أخرجه مسلم في كتاب الأيمان باب صحبة المماليك ح (3220) واللفظ له، وأبو داود في سننه كتاب الأدب أبواب النوم – باب في حق المملوك ح (4513)، والترمذي في جامعه أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم – باب النهي عن ضرب الخدم وشتمهم ح (1920).

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

فالعبرة بالحق لا بقائله، حيث جاء في الحديث: (خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس فحمد الله وأثنى عليه، وقال: ألا لا تغالوا في صدق النساء فإنه لا يبلغني عن أحد ساق أكثر من شيء ساقه رسول الله ﷺ أو سيق إليه إلا جعلت فضل ذلك في بيت المال، ثم نزل فعرضت له امرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين كتاب الله عز وجل أحق أن يتبع أو قولك؟ قال: بل كتاب الله عز وجل فما ذلك؟ قالت: نهيت الناس آنفا أن يغالوا في صدق النساء والله عز وجل يقول في كتابه ﴿وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا﴾ فقال عمر: كل أحد أفقه من عمر مرتين أو ثلاثا ثم رجع إلى المنبر فقال للناس: "إني نهيتكم أن تغالوا في صدق النساء ألا فليفعل رجل في ماله ما بدا له)[1]

وقال أبو جعفر الطحاوي في مشكل الآثار، معلقا على صنيع عمر رضي الله عنه: "وكان هذا من عمر بعد قيام الحجة عليه هو الواجب عليه، وكان ما كان منه قبل ذلك من النظر للناس هو الواجب عليه، لما أداه إليه اجتهاده فيه، فلما قامت عليه الحجة من الله عز وجل في خلاف ذلك رجع إليه، وأمر بما قد ذكرناه عنه، فرضوان الله عليه"[2]

وفي رواية عبد الرزاق: (فقال عمر: إنّ امرأة خاصمت عمر فخصمته)[3] في تواضع للحق ووقوفا عنده.

[1]– أخرجه عبد الرزاق في مصنفه كتاب النكاح، باب غلاء الصداق ح (10117)، وسعيد بن منصور في سننه – كتاب الوصايا باب ما جاء في الصداق ح (575)، والطحاوي في مشكل الآثار باب بيان مشكل ما روي عن عمر رضي الله عنه ح (4426)، وقال شعيب الأرناؤوط رجاله ثقات. وقال الزيلعي إسناده قوي، وقال ابن كثير إسناده جيد قوي.

[2]– شرح مشكل الآثار، الطحاوي، باب بيان مشكل ما روي عن عمر رضي الله عنه من، 57/13، ح (4426).

[3]– مصنف عبد الرزاق الصنعاني، عبد الرزاق الصنعاني، كتاب النكاح، باب غلاء الصداق، 243/5، ح (111160)

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

4.3. الأخذ بالأسباب وترك التواكل:

تعلم الصحابة رضي الله عنهم من النبي ﷺ حب العمل والحرص على إتقانه، فاليد العليا خير وأحب إلى الله من اليد السفلى، وأيقنوا أنه من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له، فاتخذوا القرآن وسنته منهاجا لحياتهم، سمعوا العديد من الآيات تحض على العمل وعلى إصلاحه، ورأوا من النبي ﷺ تجسيد ذلك بينهم، فهو المجاهد وهو القائد وهو الزوج وهو الإمام وهو الرسول المبلغ، لا يألو جهدا في تبليغ رسالته، واتخاذ الأسباب لذلك، فبدأ دعوته سرا لحمايتها، ثم جهر بدعوته وتلقى من الأذى ما تنوء الجبال بحمله، وحمى أتباعه من العذاب فأرسلهم إلى الحبشة، وسعى لتمتين علاقاته خارج مكة، فكانت العقبة الأولى والثانية في سرية تامة لحماية الدعوة وتهيئة الجو المناسب لإقامة دولته، ثم كانت الهجرة إلى المدينة، وكانت هجرته ﷺ هو وأبو بكر غاية في الإحكام واتخاذ التدابير اللازمة، وهو المحمي بالله والمعصوم بقوته، ولكن أراد أن يعلم صحابته وجوب اتخاذ الأسباب طاعة لله ثم الاتكال عليه سبحانه.

وعى الصحابة كل ذلك قولا وعملا وفهما فأثمر ذلك الوعي جيلا حازما لا يتوانى ولا يتواكل بل يأخذ بكل أسباب الغلبة والنصر، وكل أسباب الفلاح والنجاح مع توكل كبير وصادق على الله ﷻ، فقد شاهدوا بأم أعينهم كيف اتخذ المصطفى ﷺ بكل الأسباب والاحتياطات والتدابير المتاحة ماديا ومعنويا لإنجاح دعوته وهجرته، ثم قال بعد ذلك (ما ظنك باثنين الله ثالثهما)[1] ونزل قرآنا يصدق ذلك اليقين الصادق في عون الله ومعيته ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ

[1]– متفق عليه من حديث أبي بكر، أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة، باب قوله: ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول، ح (4394)، واللفظ له، وفي غيره، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ح (4493)، وغيرهما.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ [التوبة/40].

وقد أعطى الصحابة فرادى ومجتمعين أروع الأمثلة في اتخاذ الأسباب ونبذ التماوت والتواكل باسم الإيمان وحسن الظن والرضا بالقدر، بل يقدمون كل ما في وسعهم من جهد ومال ووقت وسعي وعلم، ثم يربطون أعمالهم بحسن التوكل على المولى ﷻ. فكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس إيمان وخلقا وقوة وحضارة.

والنماذج كثيرة جدا في حياتهم، منها:

ما كان من زيد بن ثابت رضي الله عنه في تعلم لغة يهود وتعلم خطهم في مدة وجيزة في تحد عجيب، خدمة للإسلام وطاعة لرسول الله ﷺ، فمن أسباب حفظ الدين وحمايته من الدخيل توَجب على المسلمين تعلم لغة الأعداء وتعلم علومهم وإتقان الترجمة، وهذا ما قام به زيد رضي الله عنه: (قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم له كلمات من كتاب يهود قال: "إني والله ما آمن يهود على كتاب" قال: "فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له. قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم)[1]، وفي رواية أبي داود: (أمرني رسول الله ﷺ فتعلمت له كتاب يهود، وقال: "إني والله ما آمن يهود على كتابي" فتعلمته، فلم يمر بي إلا نصف شهر حتى حذقته، فكنت أكتب له إذا كتب وأقرأ له، إذا كتب إليه) ومعنى الحديث

[1] – أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب رواية حديث أهل الكتاب ح (3178)، والترمذي في جامعه، أبواب الاستئذان والآداب عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في تعليم السريانية ح (2709). وأحمد في مسند الأنصار حديث زيد بن ثابت، ح (21092) .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

كما شرحه ابن حجر[1]: "قَوْلُهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُ أَنْ يَتَعَلَّمَ كِتَابَ الْيَهُودِ فِي رِوَايَةِ الْكُشْمِيهَنِيِّ الْيَهُودِيَّةِ بِزِيَادَةِ النِّسْبَةِ وَالْمُرَادُ بِالْكِتَابِ الْخَطُّ قَوْلُهُ حَتَّى كَتَبْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ كُتُبَهُ يَعْنِي إِلَيْهِمْ وَأَقْرَأْتُهُ كُتُبَهُمْ أَيِ الَّتِي يَكْتُبُونَهَا إِلَيْهِ.."

وعلق الإمام ابن باديس على الحديث بقوله: "لما نزل النبي ﷺ بالمدينة مهاجرا، كان بها وبضواحيها مع الأوس والخزرج– رضي الله عنهم– اليهود، فأقرهم النبي ﷺ وكتب بينه وبينهم عهدا، وكانت الكتب تدور بينه وبينهم في الشؤون والمصالح من الطرفين. فكانوا يكاتبونه بالخط العبراني، كانت لغتهم العربية، ولكنهم كانوا يكتبون بالخط العبري، فأمر النبي ﷺ كاتبه زيد بن ثابت رضي الله عنه أن يتعلم الخط العبري، ليكتب له إليهم، ويقرأ له ما يرد عليه منهم، فيكون على يقين من كلامهم إليه، وبلوغ كلامه إليهم، وما كان ليحصل له هذا اليقين – وهم ليسوا بمحل الثقة– لو تولى ذلك واحد منهم، فقد لا يكتب عنه كل ما يقوله لهم وقد لا يقول له كل ما كتبوا إليه، فتعاطى زيد تعلم الخط العبراني، فما مضى عليه نصف شهر حتى حذقه، وتولى الكتابة عن النبي ﷺ والقراءة له."[2]

ومن النماذج على أخذ الصحابة بالأسباب في حياتهم طاعة لله ونصرة للدين، ما كان من عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، حين هاجر إلى المدينة وكان رجلا غنيا، صاحب عقلية اقتصادية عالية، متمرسا بالتجارة، فرفض أن يكون عالة على إخوانه الأنصار، بل طلب منهم إرشاده إلى مواطن التجارة فقط، فقال: دلوني على السوق. وقد كان له الأثر الكبير في نصرة الإسلام بماله وفي تقوية جماعة المسلمين بذلك.

[1]– فتح الباري، ابن حجر، 13/ 186.

[2]– مجالس التذكير من حديث البشير النذير، عبد الحميد ابن باديس، ص 69.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

(عن أنس رضي الله عنه، قال: قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة فآخى النبي ﷺ، بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، وكان سعد ذا غنى، فقال لعبد الرحمن: أقاسمك مالي نصفين وأزوجك، قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق، فما رجع حتى استفضل أقطا وسمنا، فأتى به أهل منزله...)[1]

وقال في حقه الحافظ ابن كثير: (ولما حضرته الوفاة أوصى لكل رجل ممن بقي من أهل بدر بأربعمائة دينار وكانوا مائة فأخذوها حتى عثمان وعلي وقال علي: اذهب يا ابن عوف فقد أدركت صفوها وسبقت زيفها[2]. وأوصى لكل امرأة من أمهات المؤمنين بمبلغ كثير حتى كانت عائشة تقول: سقاه الله من السلسبيل وأعتق خلقاً من مماليكه."[3]

مثال أخر، من الحكمة وفهم مقاصد الدين العمل على تقوية الأمة المسلمة ماديا واقتصاديا وعدم تركها تحت رحمة غيرها من الأمم، حتى لا يستقوى عليها، كان بعد النظر هذا عند سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، ذو النورين، حيث كان لا يرى بابا يقوي به شوكة المسلمين إلا ولجه، حتى قال فيه الذهبي: "ولم ينفق أحد أعظم من

[1]– أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب ما جاء في قول الله تعالى: فإذا قضيت الصلاة، ح (1959)، واللفظ له، وفي غيره، والترمذي في جامعه أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم – باب ما جاء في مواساة الأخ، ح (1905)، وغيرهما.

[2]– أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، ذكر مناقب عبد الرحمن بن عوف الزهري رضي الله عنه ح (5303) واللفظ له، وابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الفضائل ما حفظت في عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ح (31535)، وابن سعد في الطبقات، طبقات البدريين من المهاجرين..، ذكر وفاة عبد الرحمن ح (2944).

[3]– البداية والنهاية، ابن كثير، 180/7.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

نفقة عثمان رضي الله عنه"، وقال فيه الزهري: "قد اشتهر رضي الله عنه بالكرم والإنفاق في سبيل الله".

ومن مواقفه الشهيرة شراؤه لبئر رومة، حيث كفى المسلمين مؤونة دفع المال لصاحبها كلما أرادوا الشرب، ودفع عنهم المهانة في ذلك. حيث تذكر الروايات أن البئر كانت ليهودي يبيع الماء للمسلمين، فأرهقهم ذلك.

جاء في الحديث عن عثمان رضي الله عنه: (أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال رسول الله ﷺ: من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة ؟ فاشتريتها من صلب مالي فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب منها حتى أشرب من ماء البحر. قالوا: اللهم نعم. فقال: أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله، فقال رسول الله ﷺ: من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة؟ فاشتريتها من صلب مالي فأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم بالله وبالإسلام، هل تعلمون أني جهزت جيش العسرة من مالي؟ قالوا: اللهم نعم...)[1]

وفي رواية ثانية للترمذي: (قال أذكركم بالله هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بثمن فابتعتها فجعلتها للغني والفقير وابن السبيل؟ قالوا: اللهم نعم، وأشياء عددها).

وقد بين الشراح أن البئر كانت ليهودي، حيث قال ابن بطال: "فأتى عثمان اليهودي فساومه بها فأبى أن يبيعها كلها، فاشترى نصفها باثني عشر ألف درهم فجعله للمسلمين. فقال له عثمان: إن شئت جعلت على نصيبي قرنين، وإن شئت فلي يوم

[1]– أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب إذا وقف أرضا، ح (2778)، معلقا ووصله ابن حجر، وأخرجه الترمذي في أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ باب ح (3721)، وغيرهما، واللفظ للترمذي.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

ولك يوم. فقال: بل لي يوم ولك يوم. فكان إذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين، فلما رأى ذلك اليهودي قال: أفسدت على ركيتي فاشتر مني نصيبي[1]

كما أن من فضائله رضي الله عنه تجهيز جيشا بكامله لنصرة الدين، وهو جيش العسرة في غزوة تبوك، وقد مر ذكره في الحديث.

فهذه كلها أسباب اتخذها عثمان رضي الله عنه لنصرة الإسلام والمسلمين، يعلمنا بذلك سبل الدعوة إلى الله تعالى، أنها تكن باتخاذ الأسباب اللازمة والمواتية للمرحلة ولما يتطلبه حال المسلمين وواقعهم.

من اتخاذهم لأسباب قوة المسلمين أيضا، اهتمام الصحابة بالزراعة، حيث كانوا حرصين على زراعة الأرض ليأكل المسلمين من خيرات أيديهم ديانة وعمارة للأرض وقوة للمسلمين.

"فهذا عثمان بن عفَّان – رضي الله عنه – يقول وقد سُئل: أتغرس بعد الكبر؟ فقال: لأنْ توافيني السَّاعة وأنا من المصلحين خير من أن توافيني وأنا من المفسدين، وقيل لأبي الدرداء وهو يغرس جوزة: أتغرس وأنت شيخ، ولا تُطعم إلا بعد عشرين سنة؟ فقال: لا عليَّ بعد أن يكون الأجر لي.

وهذا عبدالرحمن بن عوف رغم غناه كان يمسك المسحاة بيده، ويحول بها الماء، وطلحة بن عبيد الله كان أول من زرع القمح في مزرعته بالمدينة، وكان يزرع على

[1]– شرح صحيح البخاري، ابن بطال، 8/ 204.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

عشرين ناضحًا، وينتج ما يكفي أهله بالمدينة سنتهم، حتى استغنوا عمَّا يستورد من بلاد الشام."[1]

5.3. الاجتهاد ونبذ الجمود:

لم يكن الصحابة بأولئك المقلدة دون فهم ونظر، بل كانوا رضوان الله عليهم يعملون عقولهم في فهم كلام الله عز وجل وفي تدبره، بل وفي استنباط أحكامه وحِكمه ومقاصده، ويعقلون مقاصد كلام رسول الله ﷺ. ويجتهدون في تنزيلها على واقعهم، دون جمود على ظواهرها، بل مراعاة لمقاصدها ولمصلحة الأمة التي قررها الشرع.

وقد كانت لهم اجتهادات في حياة النبي ﷺ وبحضرته، أقرهم على بعضها، وصوب لهم البعض الآخر، كما كانت لهم اجتهادات بعد وفاته ﷺ لما حل بهم من وقائع ونوازل لم تكن في عهده ﷺ، وأوجدوا حلولا لمشكلاتهم استنادا إلى القرآن والسنة وسيرته ﷺ.

وهم في تلك الاجتهادات ليسوا بدعا، بل هم متبعون لهديه ﷺ، حينما قال: (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر)[2]

وكتب السنة والآثار مليئة باجتهادات الصحابة رضوان الله عليهم في فهم النصوص وفي تنزيلها، نذكر منها نماذج على سبيل المثال لا الحصر: اجتهادات السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، اجتهادات أبيها الصديق رضي الله عنه، اجتهادات

[1]– انظر: "نزهة الأنام في محاسن الشام"، البدري، ص 185، "تاريخ دمشق"، ابن عساكر، 30/7، "التراتيب الإدارية"، عبد الحي الكتاني، 51/2.عن موقع:
https: //www.alukah.net/publications_competitions/0/6326/#ixzz6kZSr4vhj

[2]– متفق عليه من حديث عمرو بن العاص، أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، ح (6940)، واللفظ له، ومسلم في كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب ح (3326)، وغيرهما.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

عمر الفاروق رضي الله عنه، اجتهادات عثمان بن عفان رضي الله عنه. اجتهادات ابن عباس، اجتهادات ابن مسعود، وابن عمر وغيرها، رضوان الله عليهم.

ومن نماذج العقلية الاجتهادية في حياته ﷺ، ما قضى به سعد بن معاذ رضي الله عنه في يهود بني قريظة، حيث طلبوا أن يقضي هو فيهم لما انهزموا في حربهم مع النبي ﷺ، كونه سيد الخزرج، فكان رضي الله عنه حكيما في اجتهاده و لم يقل لا أفعل بحجة وجود رسول الله ﷺ، بل كان اجتهاده هذا طاعة لأمر رسول الله ﷺ، حيث جاء في صحيح مسلم: (سمعت أبا سعيد الخدري قال: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد، فأتاه على حمار، فلما دنا قريبا من المسجد، قال رسول ﷺ للأنصار: "قوموا إلى سيدكم أو خيركم، ثم قال: إن هؤلاء نزلوا على حكمك، قال: تقتل مقاتلتهم وتسبي ذريتهم، قال: فقال النبي ﷺ: قضيت بحكم الله، وربما قال: قضيت بحكم الملك)[1]

ومن الأمثلة أيضا، ما فعله عمرو بن العاص رضي الله عنه، من ترك الوضوء واللجوء إلى التيمم لفهم فهمه من آية في القرآن، ولما علم النبي ﷺ بصنيعه أقره على ذلك، وهذا ينم عن البعد المقصدي في فهم نصوص الوحي عند الصحابة، عن عمرو بن العاص قال: (احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيممت، ثم صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟ فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت إني سمعت الله يقول:

[1] – أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد ح (3401) واللفظ له، وأحمد في مسنده، ومن مسند بني هاشم مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ح (10956)، وغيرهما.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما. فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئا)[1] وأما بعد وفاته ﷺ فقد شمر الصحابة على سواعد الجد والاجتهاد لحماية الدين وعلاج قضايا الأمة التي جدت عليهم، وأول من فعل ذلك خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق في مواجهته للردة الكبرى التي كادت أن تؤدي بالأمة إلى الهلاك، وتزعزع أركان دولة المسلمين، حيث قرر أبو بكر محاربة كل المرتدين وقتالهم مع أنهم –كما اعترض عليه عمر رضي الله عنه –كانوا يشهدوا أن لا إله إلا الله، ولكنه بحكمته وعلمه وقوة فهمه استطاع أن يدرك مدى خطورة التفريق بين أحكام الإسلام ورأى بنور الله أنها بداية لهدم الإسلام لما يفرق الناس بين الصلاة والزكاة، (أن أبا هريرة رضي الله عنه، قال: لما توفي رسول ﷺ وكان أبو بكر رضي الله عنه، وكفر من كفر من العرب، فقال عمر رضي الله عنه: كيف تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله ﷺ: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله. فقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. قال عمر رضي الله عنه: " فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه، فعرفت أنه الحق.)[2]

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الوقاف عند حدود الله، الحريص على دينه، الذي وافق ربه في عدة أحكام يجتهد اجتهادا لا يقدر عليه إلا أولوا العزم، ومن ذلك

[1]– أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب إذا خاف الجنب البرد أيتيمم، ح (286)، واللفظ له، وقال الألباني: صحيح، وأحمد في مسنده، مسند الشاميين، بقية حديث عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم ح (17503)، وغيرهما. وأخرجه البخاري معلقا في كتاب التيمم.

[2]– متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة – ح (1346) واللفظ له، وفي غيره، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله ح (54).

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

اجتهاده في إيقاع طلاق الثلاث ثلاثا، بعد أن رأى استخفاف الناس بوقوعه واحدة، حيث رأى بنور بصيرته أن ذلك من الاستخفاف بدين الله، فأراد أن يؤدب الناس ويردهم إلى تعظيم أمر الله في قلوبهم، حيث أخرج مسلم: (عن ابن عباس، قال: "كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر، طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب: إن الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم.)[1]

وجاء في توجيه تصرف عمر رضي الله عنه: "فعمل عمر كما ترى، كان بناء على سد الذرائع، لأن الناس قد تتابعوا فيما حرم الله عليهم، فاستحقوا العقوبة على ذلك، فعوقبوا بلزومه، فإن سنة الطلاق مرة بعد أخرى حيث يتاح للزوجين فرصة التراضي والوفاق."[2]

كان عمر رضي الله عنه المثال الحي للحاكم العالم المجتهد في نوازل زمانه، حيث مرت عليه كثير من المسائل المستجدة في فترة حكمه، كمسائل الطلاق والعدة والميراث، والفيء فتصدى لها رضي الله عنه بعلمه وقوة فهمه لروح النصوص ومقاصد الشريعة واختلف معه بعض الصحابة واعترضوا على اجتهاده، ولكنه كان مصيبا في كثير منها.

5. الخاتمـــة:

وفي ختام هذا البحث يمكننا تحديد النتائج المتوصل إليها:

[1]– أخرجه مسلم في كتاب الطلاق، باب طلاق الثلاث ح (2767) واللفظ له، وأحمد في مسنده مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ح (2783)، والحاكم في مستدركه – كتاب الطلاق، ح (2725).

[2]– تاريخ التشريع الإسلامي، مناع بن خليل القطان، (ص: 208)

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

– أن الوحي صنع من الصحابة رضوان الله عليهم جيل القدوة والقيادة، في العبادة والدعوة وعمارة الأرض، وفي حمل ميراث النبوة المتمثل في تبليغ الرسالة.

– وذلك يرجع إلى جملة من العوامل استطاعت أن تحدث فيهم تغييرا جذريا صنع منهم إنسان الحضارة، إن على مستوى العقيدة والأخلاق، أو على مستوى العبادة والسلوك، أو على مستوى عمارة الأرض وتبليغ الرسالة. وتتلخص هذه العوامل في:

–كونهم كانوا معاصرين للوحي وللنبوة، يتنزل القرآن تترا في أحداث عاشوها وعايشوها في حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

– اتصافهم باليقين المطلق في الله وفي وعده وفي نصره، عقيدة وسلوكا، حيث تجسد ذلك في أخلاقهم وتصرفاتهم وحياتهم نتيجة مجاهدة أنفسهم وتربيتها على التصديق بكل ما ينطق به الوحي.

– فهمهم الصحيح لمفهوم التوكل الصادق على الله، حيث تجسد ذلك في كل أمور حياتهم.

– قوة إيمانهم بما جاء به الوحي جعلهم يعتقدون اعتقادا جازما أن الآخرة هي دار القرار وهي الحياة الحقيقية، مما ولد عندهم التعلق بالآخرة اعتقادا وسلوكا.

– لما أدركوا أن الحياة الدنيا هي دار عمل وامتحان وأن الآخرة خير وأبقى، تولد عندهم الزهد في الدنيا اعتقادا وسلوكا مع العمل على عمارة الأرض.

– علمهم الوحي وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم أمامهم أن هذا القرآن نزل ليكون منهج حياة وطريقة عيش، وليس كتابا يقرأ فحسب، مما جعلهم يتصفون بالعمل بعد العلم.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

– فهم الصحابة من القرآن ومن حياة المصطفى أمام أعينهم أن الوحي يراعي كل النوازع البشرية في الإنسان، مما ولد عنهم الصدق مع ذواتهم بالبعد عن النفاق العقدي والاجتماعي.

– من شدة صدق الصحابة في الامتثال لنصوص الوحي واتباع النبي صلى الله عليه وسلم، صاروا لا يتجاوزون أوامره قيد أنملة، مما ولد عنهم الوقوف عند حدود الله لا يتعدونها.

– فهم الصحابة أن الوحي جاء لتحرير العقل من الخرافة ومن دجل الجاهلية وأدركوا أن لكل سبب مسبب، ،ان السماء لا تمطر ذهبا، فعملوا على اتخاذ الأسباب وترك التواكل في أمور الدنيا والآخرة.

– اقتداء بالمصطفى صلى الله عليه وسلم الذي كان يجتهد ويأخذ بالرأي والمشورة في غير محل الوحي، اعتمد الصحابة الاجتهاد ونبذ الجمود والفكر السطحي.

التوصيات: وفي ختام هذا البحث أوصي بمزيد الاستقراء لنصوص السنة النبوية والسيرة وآيات القرآن الكريم للوقوف على المزيد من الأسس التي بنى عليها الوحي جيل الصحابة، ليتسنى لنا إعادة بناء جيل مماثل لهم للقيامة بمهمة العمارة والخلافة.

1.5 قائمة المصادر والمراجع

الكتب:

1- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

2- أبو بكر بن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، تح عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي، دار الوطن، الرياض، ط الأولى، 1997م.

3- أبو بكر البيهقي، شعب الإيمان، تح عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى، 2003م.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

4- أبو جعفر الطحاوي، شرح مشكل الآثار، تح شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، 1994م.

5- أبو الحسن علي بن خلف ابن بطال، شرح صحيح البخاري، كتبة الرشد ناشرون، ط الثالثة، 2004م.

6- أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، تح شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط الأولى، 2009م.

7- أبو عبد الرحمن النسائي، المجتبى من السنن، تح عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط 2، 1986م.

8- أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تح مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، 1990م.

9- أبو عبيد القاسم بن سلام، فضائل القرآن، تح مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير، بيروت، دمشق، ط الأولى، 1995م.

10- أبو عثمان سعيد بن منصور، سنن سعيد بن منصور، تح حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية، الهند، ط الأولى، 1982م.

11- أبو عمر ابن عبد البر القرطبي، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تح علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1992م.

12- أبو عيسى الترمذي، جامع الترمذي، تح بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ط، 1998م.

13- أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، تح حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية القاهرة، ط 2، 1994م.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

14- أبو محمد الدارمي، سنن الدارمي، تح حسين سليم أسد الداراني، دار المغني، السعودية، ط الأولى، 2000م.

15- أحمد بن حنبل، مسند أحمد، تح شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، 2001م.

16- ابن حبان البستي، صحيح ابن حبان بترتيب بلبان، تح شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1993م.

17- ابن سعد، الطبقات الكبرى، تح محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.

18- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق. ط 10، 1982م.

19- عبد الحميد ابن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية الطبعة: الأولى، 1403هـ – 1983م

20- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، قواعد تدبر القرآن، دار القلم، دمشق، بيروت، ط الأولى، 1980م.

21- عبد الرزاق بن همام الصنعاني، مصنف عبد الرزاق، تح مركز البحوث وتقنية المعلومات، دار الأصيل، ط الأولى، 2015م.

22- مالك بن أنس، موطأ مالك، رواية يحيى بن يحيى الليثي، تع محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ط، 1985م.

23- محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، تح محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط الأولى، 1422ه.

24- محمد بن إسماعيل ابن كثير، البداية والنهاية، دار إحياء التراث، ط الأولى، 2001م.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 104–153 تاريخ النشر: 20–12–2021

25- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تح أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 2000م.

26- محمد بن عبد الباقي الزرقاني، شرح الزرقاني على الموطأ، تح طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، 2003م.

27- مسلم بن الحجاج النيسابوري، المسند الجامع، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت

28- مناع بن خليل القطان، تاريخ التشريع الإسلامي، مكتبة وهبة، ط الخامسة، 2001م.

المواقـــع:

29- https://www.alukah.net/publications_competitions/0/6326/#ixzz6kZSr4vhj